



The semiotics of the place based on Percec's theory in the novel "Let the hedgehog turn on its back" by Khudair Falih al-Zaidi

Saham Zakir Sawaidi*¹, Rasul Mohammad Hossein²

1. php, Arabic language and literature, Lorestan University. (The Corresponding Author):
szaker2020@yahoo.com
2. Master's student in Arabic Language and Literature University of Religions and Denominations, Qom

Abstract

Semiotics is one of the sciences that are employed to analyze texts and clarify connotations by removing the mask from the faces of signs or linguistic symbols. Linguistic semiotics can also be considered as a tool for exploring the underlying structures of meanings. In view of the importance of investigating the meanings and the necessity of studying them to reveal their connotations hidden in the core of the literary texts, this research is devoted to the semiotics of the place in the novel "Let the hedgehog turn on its back" by Khudair Falih al-Zaidi, a writer and novelist born in Baghdad in ١٩٥٨AD. In many of his novels, he cared about the place and the psychology of the characters. He also cared about the place in his novels, especially his aforementioned novel, as he dealt with issues related to his homeland and what befell him as a result of the coups and the deteriorating political and social conditions. This article was divided into two axis: the theoretical axis and the applied axis, according to the descriptive and analytical approach. In the beginning, it dealt with the definition of semiotics and place and their importance, then in the applied section, the article studied the place and revealed its various social, political and psychological connotations according to Percec's approach to semiotics, which includes: the symbol, the indicator, and the icon. In the end, the article reached the following conclusions: The place played an important role in the novel Let the hedgehog, and it was not just a wooden decoration for the rest of the narrative elements of the novel to play on, but it contained multiple psychological, social, and political meanings. The place was divided according to its influence from the characters of the novel into different types, including: geographical, metaphorical, geometric, hostile place, open place, closed place, place of transition, place of residence, memory place, and social place.

Keywords: semiotics (Percec); place; Let the hedgehog turn on his back; Khudair Falih al-Zaidi

سيمائية المكان على أساس نظرية بيرس في رواية "دع القنفذ ينقلب على ظهره" لخضير فليح الزيدي

سهام ذاكر سواعدي^{١*}، رسل محمد حسين^٢

١. دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، جامعة لرستان (الكاتب المسؤول)؛

szaker2020@yahoo.com

٢. طالبة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الأديان والمذاهب، قم

الملخص

إنّ السيمائية من العلوم التي تعني بتحليل النصوص وإظهار الدلالات من خلال كشف الستار عن العلامات والرموز اللغوية. كما يمكن اعتبارها أداة للتنقيب عن البنى التحتية للمعاني. ونظراً لأهمية استقصاء المعاني ولزوم دراستها للكشف عن دلالاتها المكونة في جوف النصوص الأدبية، اختص هذا البحث بسيمائية المكان في رواية "دع القنفذ ينقلب على ظهره" لخضير فليح الزيدي، وهو كاتب وروائي ولد في بغداد، عام ١٩٥٨ م. اهتم في كثير من رواياته بالمكان و سايكولوجية الشخصيات، خاصة في روايته المذكورة إذ عالج قضايا تتعلق بوطنه و ما حلّ به بسبب الانقلابات و الظروف السياسية و الاجتماعية المتدهورة. لذا درسنا الموضوع ضمن محورين منهما: المحور النظري و المحور التطبيقي وفقاً للمنهج السيميائي. فبدأنا نظرقنا إلى تعريف السيمائية و المكان و تبين أهميتهما، ثم في القسم التطبيقي درسنا عنصر المكان و أنواع دلالاته حسب منهج بيرس السيميائي الذي ينطوي على: الرمز، المؤشر و الأيقونة. و في نهاية المطاف تبين لنا أنّ المكان لعب دوراً هاماً في رواية "دع القنفذ ينقلب على ظهره" فلم يكن المكان عنصراً هامشياً كى يتمسرح عليه سائر عناصر الرواية السردية، وإنما انطوت فيه معان نفسية، اجتماعية و سياسية متعددة. حيث وظّف الزيدي العلامة في تصوير مكان روايته، فرسم وجه أمكنتها بروح سيمائية بيرس من خلال العلامة الأيقونية و الرمزية و التأشيرية، بينما غلبت العلامة التأشيرية والأيقونية على سيمائية المكان و أنواعه، حيث أن العلامة الرمزية جاءت فقط في ترميز العناوين و تسمية البطل في بطن النص الروائي.

الكلمات الرئيسية: السيمائية؛ بيرس؛ المكان؛ دع القنفذ ينقلب على ظهره؛ خضير فليح الزيدي.

المقدمة

إنّ المكان عنصر من مكونات الرواية الرئيسة، حيث يعتبر الإطار الذى تنصب فيه باقي عناصر السرد و يعرض الروائيون عناصر السرد (الشخصية، و الحدث، والزمان) عبر المكان، لهذا لم يكن المكان عنصراً هامشياً في الروايات، بل تلتبس فيه معان متعددة الأشكال حيث يكون الغرض الرئيس والهدف المرمى إليه، عند الروائي. من هذا الإتجاه تتمهد الطرق لدراسة دلالاته و استخراجها إتكاء على المنهج السيميائي الذى اهتم بدراسة العلامات و الرموز. عُرضت آراء مختلفة حول هذا المصطلح، لكن الاختلاف في التعاريف لم يكن جوهرياً، فأصبح تعريف السيميائية «بأنّها دراسة الإشارات و مشتقة من جذر يونانى هو (Semeion) يعنى العلامة، و هى دراسة الشفريات، أي الأنظمة التي تمكن الكائنات البشرية من فهم الأحداث أو الوحدات بوصفها تحمل معنى.» (شولز، لاتا: ١٣-١٤) و السيميائية بمثابة علم العلامات أو النظم العلاماتية التي أرسيت قواعدها من قبل السيميائيين الشهيرين أمثال "فردينان دى سوسير" و "بيرس" وذلك في إطار علم جديد جرى تأسيسه في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. (زبنى وند، ١٣٩٤ ش: ٩٢). في حين يرى البعض أن الوقت الذي تنبأ فيه "فردينان دى سوسير" بميلاد علم العلامات مستقبلاً كان نظيره "شارلز سندررس بيرس" منشغلاً بإبراز معالم هذا العلم مصطلحاً عليه اسم "سيموطيقا"، و السيميائية البيروسية تحمل وظيفة فلسفية منطقية، إذ يقول: «ليس المنطق بمفهومه الا اسماً آخرًا للسيموطيقا، نظرية شبه ضرورية أو نظرية شكلية للعلامات.» و السيموطيقا عند "بيرس" تهتم بالنظر إلى الوجود الإنساني باعتباره علامة و الخلاصة أن لا شيء يفلت من سلطان العلامة.» (كراد، ٢٠٠٥م: ٧٥)

يعدّ "شارل سندررس بيرس" أحد أهمّ المفكرين و الناقدین اللسانيين الأدبيين المعاصرين و الذى كانت لآرائه و بحوثه السيميائية أبعث الأثر في إرساء دعائم هذا العلم في القرن العشرين حتى جعله فرعاً علمياً مستقلاً. (ايكو، ١٣٩٥ ش: ٢٥٣)

وما نعتز عليه في الرواية العراقية، التي ظهرت متأخرة مقارنة بظهورها في باقي الدول العربية، بسبب الظروف التي عرفها العراق خلال فترة الإستعمار وبعدها، والتي عبّرت أكثر عن جوانب الحياة الواقعية، ومن بين الروائيين العراقيين الذين سلكوا هذا المنحى كالزبيدي. ولقد حفزتنا الأهمية التي اكتسبها المكان في نصوصه و أيضا الترميز البارز فيها، على اختيار موضوع يدرس الرموز و العلام في ما ركز عليه في روايته و هو العنصر المكاني، فمن هذا المنطلق تطرق هذا البحث إلى دراسة سيميائية المكان في رواية "دع القنفذ ينقلب على ظهره لخضير فليح الزبيدي بناء على نظرية بيرس" معتمدا على ثلاثيته الشهيرة و هي الإشارة، الأيقونة و الرمز، لتوضيح المسألة و هي أنّه كيف أراد الروائي العراقي المعاصر، خضير فليح الزبيدي أن يجعل روايته مؤثرة إضافة إلى تبيين العلامات التي استعان بها لتبيين أهداف الرواية و السير في الأغوار الخفية من أفكاره و رؤاه وكيفية توظيفه للعلامات و الرموز.

منهج البحث وأهميته

جعل الروائي خضير فليح الزبيدي للمكان أهمية بالغة، حيث أتاح الفرصة للباحثين للدراسة السيميائية حول عناصر المكان في روايته من أجل الكشف عن أنواع العلامات لفهم الرواية، إذن يتكرس هدف هذا البحث في دراسة سيميائية المكان في "رواية دع القنفذ ينقلب على ظهره" و استجلاء الدلالات من أغوار الرواية و الكشف عن أنواع المكان و الأدوار التي تؤديها في النص الروائي كما أن أهمية البحث تنبع من خلال التركيز على المنهج السيميائي واستخراج و إحصاء أنواع العلامات السيميائية من رمز و مؤشر و أيقونة و تحليلها ضمن تحليل المكان و كشف دلالاته وتبيين وظائفه.

أسئلة البحث والفرضيات

تتمثل أسئلة البحث في الأسئلة التالية:

- ما العلام السيميائية التي تشير إليها الأمكنة في رواية "دع القنفذ ينقلب على ظهره"؟
- ما الدلالات الكامنة في جوف العلامة السيميائية للمكان عند الكاتب؟

فرضيات البحث هي أنّ خضير فليح الزيدي وظّف العلامة في المكان من خلال العلامة الأيقونية والرمزية و التأشيرية، و تجلّت حالات الكاتب النفسية ضمن هذه العلامات في توصيف المكان من خلال الإشارة إليها.

أهداف البحث

وقد كان الهدف من الدراسة الكشف عن عنصر مهم من عناصر السرد و هو المكان، ثمّ استجلاء العلام و الإشارات و دلالاتها العديدة عبر تأطيرها من خلال الشبكات المعنائية و علاقاتها بحالات الشخصية النفسية.

خلفية البحث

هناك دراسات عديدة تناولت عنصر المكان بصورة مستقلة مباشرة أو غير مباشرة ضمن البناء النصي، منها:

- ١- تجليات المكان في رواية "أشباح المدينة المقتولة" ل بشير مفتي (٢٠١٨م)، رسالة ماجستير من إعداد الباحثة كريمة سمار من الجزائر. و إشراف شاكّر لقمان. بحث مقدّم في جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي .
- ٢- "المكان في روايات تحسين كرمياني" (٢٠١٥م) وهي رسالة ماجستير من إعداد قصي جاسم أحمد، قُدِّمت في جامعة آل البيت.
- ٣- "المكان في روايات إنعام كجه جي" (٢٠١٧م) رسالة ماجستير أعدتها الباحثة نوره عباس علي، في جامعة بابل.
- ٤- "أسلوبية السرد في روايات خضير فليح الزيدي" (٢٠١٩م) رسالة ماجستير أعدّها حسين علي مشحوت في جامعة بغداد.
- ٥- "جماليات المكان" لغاستون بلاشار، (لاتا) إذ عاج الكاتب المكان من حيث الأليف وغير الأليف، وقد أكد في دراسة المكان على استكناه جميع الظواهر الحسية والشعورية والنفسية.

٦- "بلاغة المكان: قراءة في مكانية النص الشعري" لفتحية كحلوش الباحثة الجزائرية (٢٠١٤م) إذ درست الكاتبة المكان وأنواعه من خلال تقاطباته في أشعار "الشاعر عزالدين المناصرة" و "الشاعر" سعدى يوسف".

وما توصلنا إليه في المراجع المشار إليها أنّ هناك أسباباً تدفع الشخص للتصاق بمكان ما وألفته أو الابتعاد عنه، وينقسم المكان إلى المفتوح و المغلق. والجديد في هذا المقال أنّه ركز على سيميائية المكان الروائي وتحليل أنواعه وعلاقاته الوظيفية مستعيناً بالعلامات البيروية نحو مؤشر وأيقونة و رمز، كما أنه لم يبيّن نوع المكان حسب مساحته الجغرافية فحسب بل اعتمد على شعور قاطنيه نحو المكان ومدى تأثيره في تبيين نوع المكان.

المحور النظري (السيميائية - المكان)

السيميائية

لقد تعددت التعاريف حول هذا المصطلح، فهناك من أطلق عليه بـ"السيميولوجيا" وهناك من أطلق عليه "السيموطيقا" وآخرون أطلقوا عليه "علم العلامات" وغيرها من الأسماء. ولم يستقر على تعريف دقيق ومحدد، لكن وإن تعددت، تحمل جميعها معنى واحدا وهو العلم العام الذي يدرس الإشارات أو العلامات. «هناك شبه اتفاق بين العلماء يعطي مكانة مستقلة للغة، يسمح بتعريف السيميائية على أنّها دراسة الأنماط، فكلمة السيميائية تستعمل للإشارة إلى علم الإشارات. «اختير مصطلح السيميائية ليقابل كلمة "Semiotics" المأخوذة من أصل يوناني، فالأصل اليوناني كان يدخل في حيز المصطلحات الطبية التي تدلّ على أسلوب خاصّ يعالج به المرضى عن طريق فحص علائم المرض من شحوب اللون والحّمى وتحليل عينات من بول المريض أو دمه. هذا الاتجاه الطبي أدّى تدريجياً إلى نشوء هذا الاتجاه الطبي وصار مصدر إلهام لنشوء علم السيميائية لدى علماء اللغة ووسائل الإعلام إلا أن بواكير هذا العلم لم تظهر إلا في أوائل القرن العشرين.» (قائمي نيا، ١٣٨٩م: ٣٨) «حيث أرسى علماء من أميركا و سويسرا قواعد السيميائية وأسّسوا ركائزها. كان فردينان دي سوسير (سوسور) "Ferdinand Soser"

وجارلز ساندرز "Charlz Sanders" من أبرز رواد و مؤسسي هذا العلم. تقوم السيميائية على ركيزة أساسية هي أنّ اللغة عبارة عن منظومة مكوّنة من العلامات و الرموز الدلالية تتربط ربطاً فسيفسائياً إلا أنّ العلماء الأوائل تعدّدت مذاهبهم ومناحيهم في هذا العلم فبينما أخذ منهج العالم اللغوي الشهير بيرس طابعاً فلسفياً اصطبغ مذهب سوسور بصبغة لغوية واضحة بحثة أسفرت أخيراً عن علم السيميائية بمفهومه الحديث الذي لعب دوراً هاماً ومفصلياً في الدراسات اللغوية.» (نفس المصدر: ٢٥)

يعدّ شارل سندرز بيرس أحد أهمّ المفكرين والناقدين اللسانيين الأدبيين المعاصرين والذي كانت لآرائه وبجونه السيميائية أبعاد الأثر في إرساء دعائم هذا العلم في القرن العشرين حتى جعله فرعاً علمياً مستقلاً. (ايكو، ١٣٩٥ ش: ٨)

بنية الدلالات عند بيرس

وضع "بيرس" قاعدة ثلاثية (رابطة ثلاثية) في ما يخص العلاقة الدلالية وهي عبارة عن "الممثل" أو المصورة وهو شيء ينوب أو يحلّ محلّ شيء آخر، وهي تتخذ طابع العلامة و لن تكون مادية بالضرورة، والموضوع وهو المادة المشار إليها، والتفسير وهو إدراك يحصل من خلال العلامة. (چندلر، ٢٠١٨ م: ٦٠) فعلى سبيل المثال، إشارة المرور الضوئية في قاعدة بيرس تعدّ علامة تشتمل على الضوء الأحمر والإشارة الضوئية في التقاطعات (الممثل) و توقّف وسائل النقل (الموضوع)، هذه الإشارة الضوئية تفيد وجوب التوقّف (التفسير). (المصدر نفسه: ٦١)

ثلاثيات بيرس

في التصنيف الذي وضعه بيرس للسيميائية، تمّ تصنيف العلامات إلى مجموعات الإشارة، الأيقونة والرمز.

الأيقونة

ففي الأيقونة نجد العلاقة الرابطة بين الدال والمدلول قائمة على علاقة التشابه؛ في الواقع فإنّ علامة الأيقونة تقوم على أساس تشابه العلامة مع الموضوع. علامة الأيقونة تفهم من خلال فهم نظيرها المشابه لها، من قبيل الصور الفوتوغرافية والرسوم والخرائط وغيرها.

الإشارة

علامة الإشارة هي علامة تشير إلى الموضوع الذي تعبر عنه عبر تأثرها الحقيقي بذلك الموضوع؛ فتكون العلاقة بين الدال والمدلول نفس العلاقة التي تجمع بين العلة والمعلول. وفي الواقع تفسر علامة الإشارة على أساس علاقة وجودية ذاتية وهي شكل من أشكال العلاقة المعنوية وأحياناً تكون علاقة العلة بالمعلول بين الموضوع والعلامة. تمثل الساعة علامة للزمان، والحّمى فهي علامة للمرض. (أحمدي، ١٣٩٤ ش: ٤٣)

الرمز

في العلامات الرمزية تكون العلاقة بين الدال والمدلول عرفية غير معللة، فلا يوجد بينهما تشابه؛ فالعلاقة عقدية اختيارية تماماً فهي تخلو من قرينة لفهمها، وبإمكان المخاطب أن يجد لها مصاديق متعددة، فالرموز تقوم على أساس العقود السيميائية، مثل العلامات اللسانية (نطقاً وكتابة) وإشارات المرور. (المصدر نفسه: ٤٤)

المكان

إنّ المكان عنصراً فاعلاً في العمل الروائي؛ وله أهمية بالغة في تأطير وتنظيم الأحداث كما أنه يقيم علاقات سرمدية مع الشخصيات والزمن «يسهم المكان في التشكيل التقاني لجميع عناصر السرد» (عبيد، ٢٠١١م، ٣٩)، و اختلف النقاد و الباحثون في تحديد أنواع المكان و مسمياتها و من هذه التقسيمات يمكن الإشارة إلى: المكان الأليف، و المكان المعادي، و الأماكن العامة، و المكان المجازي، و المكان الواقعي، و المكان الهندسي، و المكان المغلق، و المكان المفتوح، و المكان المفترضي و المكان التاريخي و... .

لا يُعرف المكان الروائي من خلال وصفه المادي فحسب؛ و ذلك لأنّ الروائي يتعامل معه بخياله الواسع وأحاسيسه و رؤاه الخاصّة. ويمثّل المكان « مكوّناً محوريّاً في بنية السرد بحيث لا يمكن تصوّر حكاية بدون مكان، ولا وجود لأحداث خارج المكان، ذلك أنّ كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معيّن. » (بوعزه، ٢٠١٠م: ٩٩)

لقي مصطلح المكان اهتماماً وعناية كبيرة في النقد العربي المعاصر، بعد ترجمة غالب هلسا لكتاب "جماليات المكان" لغاستون باشلار، حيث ظهرت فيما بعد دراسات عديدة ولعت بمقولة المكان، وعكفت على تحديد مفهومه ودراسته، والبحث في جمالياته وشعريته حسب الممارسة النقدية للنقاد، ومن النقاد العرب الذين اتخذوا من المكان نقطة مهمة في دراساتهم النقدية للسرد الروائي سيزا قاسم التي ترى أن المكان محدد، يتركز فيه وقوع الأحداث، بينما الفضاء الذي أطلقت عليه مصطلح الفراغ أكثر اتساعاً، إذ تنكشف فيه أحداث الرواية، غير أنّها تستخدم مصطلح المكان لاتساقه مع لغة النقد العربي، كما تقول: "ورغم أننا نتفق مع الاتجاه إلى التفرقة في الاستخدام بين كلمة المكان والموقع لأنها أكثر دقة في التعبير، إلا أننا التزمنا في هذا البحث استخدام كلمة (المكان) اتساقاً مع لغة النقد العربي. (قاسم، ٢٠٠٤م: ١٠٦)

مع أن أنماط المكان تعددت عند الدراسين و النقاد ولم يلتزموا بطريقة خاصة، فقد كانت فكرة تقسيم المكان حسب دلالاته وأغراضه و مؤثراته الخارجية «فقد يأخذ المكان أبعاداً رمزية مختلفة من رواية لأخرى، ومن موقف نفسي لآخر» (كحلوش، ٢٠٠٨م: ٢٢-٢٣) كذلك ما التزمت هذه المقالة بنمط من التقسيمات المشار إليها، بل استخرجت أنواع المكان حسب دلالاته في النص الروائي وعلاقته مع المكونات الروائية.

ملخص الرواية

صدرت رواية "دع القنفذ ينقلب على ظهره" في ١٥٤ صفحة، عن دار ألوان للطباعة و النشر، عام ٢٠٢١م، و هي من الروايات التي وصفت الوضع السائد في مدينة بغداد خاصّةً، بطل

الرواية يلقب بـ"القنفذ" لكثافة الشعر الذي يغطي جسمه فضلا عن أنّه يفضل الليل للعمل كسائق أجرة على الرغم من المخاطر في ليل بغداد، و من المعروف أنّ حيوان القنفذ يمارس رحلة البحث عن طعامه في الليل. فيستحضر الروائي مجموعة من المشاهد البشعة التي تحمل صور الموت و الخراب في مختلف مناطق بغداد، فقسّم الروائية إلى ثلاثة فصول وهي: " آن الجميلة، يعقوب القنفذ و ردهة الإعترافات" فالرواية تستخدم أسلوب التقطيع في السرد حيث تتناوب فصولها في خلق فضاءاتها. جاء في الفصل الأول من الرواية "آن الجميلة" عن قصة فتاة عرضت نفسها للتقييم في منافسة ما بين بنات بغداد للفوز بلقب "حسناء بغداد"، فتشكلت جبهات فكرية ضدية في بغداد حسب معايير مختلفة عن بعضها في تفسير الجمال حيث دخلت في القصة آراء سياسية و تاريخية. و في الفصل الثاني تحكي قصة " يعقوب " عن سائق أجرة يخرج في ليالي بغداد للعمل ويصادف مجموعة مشاهد، تتمحور كلها حول الفوضى السائدة في مدينته، من موت أخيه و عدم اكتراث الجيران لمصيبته إلى قصة البنت التي تلد مولودا لاتعرف أباه بسبب انتهاك عرضها. و الفصل الثالث من الرواية " ردهة الإعترافات" يدور حول ماواجهه يعقوب بسبب ركوب المرأة الحامل في سيارته و توصيلها إلى قسم التوليد و الأحداث التي مرّ بها في تلك الليلة.

المحور التطبيقي (سيمائية أنواع المكان في رواية دع القنفذ ينقلب على ظهره)

اهتم المؤلف ككثير من الروائيين بعنصر المكان «المدينة»، ولكن « تميزت رواياته عن غيرها من الروايات التي تناولت المدينة بالعودة إلى الماضي السحيق لها ... لقد استمد الزيدي مكونات عوامله الروائية من البيئة المحلية، وهذه المكونات هي: عادات القبائل وتقاليدهم ومعتقداتهم.» (وتار، ٢٠٠٢م: ٢١٨) يحتوى هذا المكان

(المدينة) في رواية "دع القنفذ ينقلب على ظهره" أنواعا متعددة لكننا اخترنا من هذه الأنواع للدراسة السيميائية : المكان الأليف، المكان المعادي، المكان المغلق، مكان الإنتقال، مكان

الإقامة والمكان الذاكراتي. فأصبحت هذه الأمكنة ممثلات سيميولوجية تتراوح أنواعها بين الرمز، والمؤشر، و الأيقونة.

سيميائية المكان الأليف (المدينة ككل):

المكان الأليف من الأماكن التي ترتاح لها النفوس وتؤنس لها وتعيش فيه بطمأنينة وراحة البال وتبني فيه علاقاتها الطبيعية. ومن الأماكن الأليفة التي تعد وطنًا لشخصيات الرواية، هي المدينة والمدينة من أهم وأبرز الأماكن التي تعج بالدلالات شأن غيرها من الأماكن. لم تعد المدينة مجرد مكان للأحداث في الرواية بل من الناحية الاجتماعية تعد ذات كثافة سكانية، ومن ناحية أخرى أصبحت ملتقى التيارات الفكرية و الفلسفات العالمية الواردة إليها من جهات مختلفة. و قد شكّل هذا الاختلاف صراعاً فكرياً مع الصراع الاجتماعي الذي ساد مجتمع المدينة. و المدينة في رواية "دع القنفذ ينقلب على ظهره" تشمل أماكن مفتوحة متعددة، كما أنها تشكل مكاناً رحباً للشخصيات، تتكون في الأصل من أماكن السكن لما تحمله من نسيج عمراني يتداخل مع النسيج الاجتماعي الذي تؤثته العلاقات الاجتماعية القائمة بين سكانها لتعبّر عن مختلف مظاهر الحياة. و قد كان للمدينة ظهور كثيف في ثنايا هذه الرواية، من بينها: «مدينة بغداد» التي تقع في قلب العراق. تعتبر هذه المدينة من الأماكن المهمة في الرواية كونها تمثل المكان الذي ترعرعت فيه الشخصيات، و ذلك كقوله عن وصف الآراء المختلفة و الجبهات الفكرية المتضادة في مدينة بغداد واصفاً فيها مسابقة لتعيين حسناء بغداد:

- (في مساء الجمعة تمّ حسم المنافسة الشرسة لاختيار ملكة الجمال، وسط حضور عوائل المتسابقات المشاركات فقط.) (الزبيدي، ٢٠٢١ : ١)

- (إن الحفل جرى بهدوء و انسيابية عالية، على الرغم من كل الصخب المنتشر في بغداد.) (نفس المصدر: ٢٤)

- قال: لم ينفعكم بوقكم المثقوب . كون مسابقة الجمال في بغداد هي غاية أمريكية و الغرض منها إشاعة الرذيلة.(نفس المصدر: ٢٤)

- إن اختيار حسناء بغداد هو تقليد قديم منذ أربعينات القرن المنصرم . هو محاولة لإعادة هذا الطقس الحميمي و أحياء صورة بغداد المسالمة.(نفس المصدر: ٢٦)
- ما إن دخلت قاعة الشمعة « ابن خلدون سابقا» حتى عمّ الصمت تماما و ما تبقى من الصمت سوى الهمس الشفيف بين الجالسين.(نفس المصدر: ٣٢)
- وظهرت بغداد باردة و مظلمة في قصة يعقوب القنفذ حيث يقول الروائي :
- (يبقى ليل بغداد مختلفا عن كل ليل العالم. مازال القنفذ يعقوب في تلك اللحظة مستمتعا وهو ينصت بحشوع لأصوات مختلفة تأتيه من فضاء بغداد وتحومها. تتناغم وتتسق لتعزف سيمفونية بغدادية حزينة.) (نفس المصدر: ٤٦)
- والتقطنا من النماذج المذكورة مما يوافق ثلاثية بيرس للكشف عن سيميائية المكان الأليف (المدينة) كآآتي:

المفسرة (المؤول)	الموضوع (الركيزة)	الممثل	
التحديد و التضييق	القيود	وسط حضور عوائل المتسابقات المشاركات (فقط)	الأيقونات:
انعدام الفائدة	الكناية عن عدم الصلاح	بوقكم المثقوب	
الفشل في إعادة الماضي	المصدر	هو (محاولة لإعادة) هذاالطقس الحميمي	

اختناق الأصوات	التأكيد في الوصف	الهمس الشفيف	
العتمة وسيطرة الظلمة و الظلم	الزمان	(ليل) بغداد	الرموز:
الوحدة و الانكماش	حيوان بري	القنفذ	
الإحتراق من أجل الآخر	تسمية القاعة	قاعة الشمعة	الإشارات:
تخطيم مصادر الثقافة و التحسر على الماضي	النعته (الماضي)	«ابن خلدون (سابقاً)»	
التضاد وعدم الإتساق (ما بين الحاضر و الماضي)	النعته	تقليد (قديم) منذ أربعينات (القرن المنصرم)	
الحزن الغالب	التشبيه	سيمفونية بغدادية (حزينة)	

سيميائية المكان المعادي:

هو المكان الشبيه بالداخلي أو الضيق، ينعكس على حالة الفرد نفسياً فهو المكان الذي يحس بالضيق فيه وإن كان واسعاً، كتواجد شخص ما في بلد الغربة فمهما يحمل ذلك البلد من رحابة وامتيازات يعد مكاناً ضيقاً على نفسية المقيم فيه (مدقن، ٢٠٠٥: ١٤١) و تجلّي هذا النوع من الأماكن في:

- (يمثل الخارج (الشارع) للبطل لمين مكانا منغلقا عدائيا، لا يوفر العدل والمساواة وهذا ناتج عن عبثية المجتمع وساديته تجاه الفقراء، فيضحى شبيها بالكلب بل ويتمنى أن يكون محله! "كان جالسا بمحاذاة ساقها، يفتح فمه فيسيل لعابه، وكنت افتح فمي تماما كالكل، وكاد لعابي يسيل!). (الزبيدي، ٢٠٢١م: ٣٥)

- (و في مقابل هذا البؤس والمعاناة في الخارج (الشارع)، تأتي قيم الألفة بمجاذيبها الأسرة مانحة البطل لمين الطاقة فنستشعرها في التعديلات التي قام بها في منزله، "أريتها التعديلات التي قمت بها، الطلاء والرفوف الجديدة، والمكتبة الصغيرة التي اشتريتها لها لتضع فيها كتبها. بعد ذلك، جلبت العشاء من المطعم المجاور وفرشت الطاولة وأضأت الشموع). (نفس المصدر: ٢١٩)

و قسمنا العلام السيميائية للمكان المعادي حسب الجدول الآتي:

الممثل	الموضوع (الركيزة)	المفسرة (المؤول)	
التعديلات	اجراء اعمال	الإصلاح و	الأيقونات:
قم (ت) بها (الطلاء) والرفوف (الجديدة)	لتحسين الوضع المتكلم وحده كيفية التعديل النعته	التغيير الوحدة و الإنفراد وشي الظواهر و التغيير السطحي	
		التغيير والإصلاح الحديث ونفي الماضي	
الكلب الشموع	الحيوان اللاهث	الطمع	الرموز:

الإحتراق الذاتي من أجل الغير	وسيلة إضاءة		
التضاد و العلاقات الضدية بين الداخل و	العلاقة بين الخارج و الداخل	الخارج (الشارع)	الإشارات:
الخارج شدة الطمع و الأنجذاب	الوصف	و كنت افتح فمي (تماما)	
التبعية و التقليد	التشبيه	(كالكلمة)	

سيميائية مكان الإنتقال:

من الأماكن التي ينتقل فيها الإنسان و يعيش فترات من حياته فيها من حيث التردد و التنقل هي أماكن الإنتقال. " أماكن الإنتقال فقد تكون مسرحاً لحركة الشخصيات و تنقلاتها و تمثل الفضاءات التي تجدد فيها الشخصيات نفسها كلما غادرت أماكن إقامتها الثابتة، مثل: الشارع، الأحياء و المحطات. " (بجراوي، ١٩٩٠م: ٤٠)

تعكس هذه الأماكن مشاهد من الفئات المهمشة المتفرقة في المجتمع، تشكّل الشوارع والطرق، أماكن تفاعلية، و هي من الأماكن التي تشهد حركة الشخصيات منها ما جاء في الرواية:

- الحي: (الأمر الذي اضطره ليطرق الأبواب و يسأل عن مكان قريب في حي العدل عن قابلة مأذونة. استدل على بيت واحدة بعد عدة فروع و طرق أكثر من باب، لكنهم لم يفتحوا الباب له، حتى أيقن بأنّ ما يسمى ب " الخوف " حقيقة رمزية.) (الزبيدي، ٢٠٢١م: ٧٣)

- الشوارع: (لا أحد يعرف حتى من أعضاء الجمعية لماذا لا يتم اختطاف محمد الحَبَاب ؟ ما هو السر الذي يجعله يسير " على طولهِ " في كل شوارع بغداد في النهار كما في الليل). (نفس المصدر: ١٥١)
- (تلك تحولات خطيرة لا يستطيع القنفذ تحملها أو تفسير ذلك الغموض. انقلاب و قطع شوارع و بنت تلد مولودا مقلقا.) (نفس المصدر: ١٤١)
- (وصلت السيارة إلى شارع فرعي طويل يؤدي إلى منطقة الإسكان من جهة حي الجامعة. شارع مظلم و ضيق.) (نفس المصدر: ٩٠)
- الأرزقه: القنفذ: (سنبحت عن قابلة مأذونة في هذا الزقاق أو أي زقاق آخر حتى نجد من تستطيع إقناع الجنين على مغادرة الرحم الدافئ و الوصول إلى بر جحيم الحياة العراقية. لكنه لا يوجد شخص في الشوارع ليسأله عن قابلة.) (نفس المصدر: ٧٢)
- الممرات: (المسكينة حوصرت في بقعة صغيرة و كانت حياتها مهددة بين القبول و الموت.) (نفس المصدر: ١٠١)
- و من العلامات التي طرأت على نص الرواية في هذا النوع من الأماكن كما في الجدول الآتي:

المفسرة (المؤول)	الموضوع (الركيزة)	الممثل	
و الأمل الإضطراب إليه	الكناية	اضطريطرق الأبواب	الأيقونات:
و الإنقاذ الإسعاف	الصفة الصفة	قابلة مأذونة	
عدم الرغبة بالحياة	الفعل المجهول	مولودا مقلقا حوصرت	

تدهور الوضع الأمني			
حالة الإنفراد و	حيوان	التنفذ	الرموز:
الوحدة، هيمنة الظلام و العتمة في المجتمع	و المموم الأحزان	الليل	
انعدام الأمن و فقدان الحرية	كناية	يسير " على طوله"	الإشارات:
يُعد طرق	النعث	شارع فرعي	
الوصول للغاية		(طويل)	
عدم الرغبة بالحياة في العراق بسبب الوضع المعيشي المتدهور	السخرية	إقناع الجنين لمغادرة الرحم	

سيميائية مكان الإقامة:

يقيم الشخص في هذه الأماكن و يسكن فيها. إن تعدد الأمكنة في الرواية ينقسم أيضاً حسب نوع الإقامة. فهناك إقامة اختيارية وإقامة إجبارية؛ وأما الاختيارية فيمكن الإشارة إلى: فضاء البيوت، البيت الراقى، البيت المضاء، البيت المظلم والبيت الشعبي، وأما الإجبارية فمنها: فضاء السجن، الزنزانة، فضاء الفسحة، فضاء المزار وإن أماكن الإقامة الإجبارية تشكل مادة خصبة بالنسبة لأكثر الكتاب الروائيين، مثل معالجة (فضاء السجن) بوصفه عالماً مفارقاً لعالم الحرية خارج الأسوار. (عزام، ٢٠٠٣م: ١٩٦ - ١٩٧) و من النماذج التي استخرجناها من الرواية لهذا النوع من الأماكن هي:

- البيت: - (يخرج من البيت كل مساء مؤمنا بما يخفيه له سر القدر.) (الزبيدي، ٢٠٢١م
(٧٤:
- (عاد يعقوب إلى غرفته بعد إتمام المراسيم الحزينة و أغلق عليه الباب. ثم غاص بنوبة
حزن عميقة قبل أن يقرر ماذا سيفعل بعد فقد أخيه الوحيد؟) (نفس المصدر: ١٢)
- (كان الأخ يحضر له في الأحلام بملابس محترقة ... يجلس على كرسيه المخصص
داخل البيت و يتصاعد منه الدخان.) (نفس المصدر: ١٣)
- (كنا نسكن في منطقة الرحمانية. كان أبي مدمنا على لعب القمار و المقامرة بكل
شيء في الحياة، حتى خسر البيت الذي نسكن به في ليلة لعب قمار حامية.) (نفس المصدر:
(٩٠

المفسرة (المؤول)	الموضوع (الركيزة)	الممثل	
هيمنة العتمة و قطرسة الظلام على أجواء المدينة	قيد الزمان	يخرج .. (كل مساء)	الأيقونات
خروج الأحداث عن دائرة المنطق و انتسابها لأسباب موهومة	التشخص	يخفيه سرّ القدر	
الفرار من واقع الحياة الخسران لأسباب غير موجهه	ضد الواقع	الأحلام	
	لعبة رهان	القمار	
-----	-----	-----	الرموز

الإشارات	غاص	الفعل الماضي	الولوج بالأحزان و الإمتلاء منها
	ملابس محترقة	النعث	شدة المعاناة و
	(يتصاعد) منه (الدخان).	الفعل التدرجي - علامة الإحترق	الحزن الإختيار في الباطن
	ليلة لعب قمار (حامية)	النعث	شدة الخسران

سيميائية المكان المغلق:

هو المكان الذي حددت مساحته و مكوناته، كغرف البيوت و القصور فهو المأوى الاختياري والضرورة الاجتماعية، أو كأسجحة السجون، فهو المكان الإجباري المؤقت، فقد تكون الأمكنة المغلقة مصدرا للأمان والألفة أو قد تكون مصدرا للخوف والاضطراب. (رانية، ٢٠١٤: ٢٣) لأن الانغلاق في مكان واحد يعبر عن العجز وعدم القدرة على الفعل أو التفاعل مع العالم الخارجي، وهي توحى بالعزلة والخصوصية، إذ يحتضن المكان المغلق عددا محدودا من البشر ونوعا معينًا من العلاقات البشرية.

والأماكن المغلقة في رواية خضير فليح الزبيدي:

- القاعة: (اكتظت القاعة بالحضور المكثف) (الزبيدي، ٢٠٢١م: ٣٤)
- (تمت محاصرة الباحث في مكان ضمن القاعة) (نفس المصدر: ٤٤)
- (انطفأت أنوار القاعة وحلّ الظلام كي تسود العتمة، ويبدأ الشريط بالدوران.) (نفس المصدر: ٤٤)

- المقهى: (في مقهى ريكان بشارع الرشيد يجتمع هواة الطوابع البريدية الملكية و مجموعة من الخرسان مع هواة و مؤيدي جمعية بيان رقم واحد " جبرو "). (نفس المصدر: ١٥٠)

- الغرفة: (عاد يعقوب إلى غرفته بعد إتمام المراسيم الحزينة وأغلق الباب عليه ثم غاص في نوبة حزن عميقة قبل أن يقرّر ماذا يفعل بعد فقدان أخيه الوحيد.) (نفس المصدر: ٢٢٣)
- المستشفى: (من مدخل هذه المدينة الشاسعة في باب المعظم، توقفت المارونية على بابها، سأل يعقوب شرطي الحراسات الأسمر، صاحب الإبتسامه على غير عادة طبيعة الشرطة في المستشفيات، سألته عن قسم التوليد لوجود حالة طارئة. رفع العارضة و دلّه على الطريق المختصر من الباب الثاني للمدينة المخصص للطوارئ، ثم الانعطاف نحو الشمال، ثم اليمين و الانحراف نحو قسم التوليد في المشفى.) (نفس المصدر: ١٣٦)
- السيارة: (يشغل مصباح الإنارة الداخلي في سيارته القديمة، التي لا يمكن أن يساء تقديرها أو تأويل فكرتها. يحدق في المرآة. يرى وجهه المختنق بالشعر الكثيف. آلاف العيون تفر من رقدتها كحوقة طيور لتنتشر في فضاء المحيط. اللحية الكثة تبعد شبح التفكير السيئ بوصفه منحرفا. هي هويته للمرور في ذلك الليل الحالك. المنحرفون سادة الليل البهيم و معطفه الكاكي القصير يتناسب تناسقا مع مايجري من تدفق هائل لتلك الألوان الليلية التي هيمنت كغمامة على الشوارع البغدادية لزمان طويل جدا.) (نفس المصدر: ٦١)

المفسرة(المؤول)	الموضوع (الركيزة)	الممثل	الأيقونات
الإزدحام و المضايقة	الفعل	اكتظت القاعة	
عدم وجود حرية	البكم، عدم القدرة على النطق	مجموعة (الخرسان)	
البيان		يشغل مصباح الإنارة	
	النعته	(الداخلي) في سيارته	
التحسر على الماضي		(القديمة)	

		(اللحية) الكثة هي (هويته) للمرور	
	علامة المنحرفين و		
تدهور الظرف الأمني - الحكم من خلال الظاهر وجود الهمّ و الحزن الشديد	خروجهم المتاح ليلا سحابة يتغير بها وجه السماء	غمامة	
رمز الفرد العربي	لون مابين البياض و السواد	الأسمر	الرموز
تكرار المكررات في الزمن الحاضر	الفعل المضارع	و(يبدأ) الشريط بالدوران	الإشارات
انعدام الأمن عدم الرغبة بالحياة و فقدان الأمل	تحديد المكان الميل عن الطريق المستقيم	تمّت محاصرة الباحث في مكان (ضمن القاعة) (الانحراف) نحو قسم التوليد في المشفى	
التضجر من الواقع	حالة يشعر بها الفرد بالضيق	يرى وجهه (المختنق) بالشعر الكثيف	

سيمائية المكان الذاكراتي

يعتبر المكان الذاكراتي مكاناً تستحضره الشخصية الروائية بواسطة الذاكرة. و لولا الذاكرة لما وجد المكان الذاكراتي؛ لأنّ الذاكرة هي وعاء يحمل في داخلها المكان الذاكراتي، فهي عامل إيجاده، فهناك صلة وثيقة بين المكان والذاكرة؛ لأنّ «المكان محطة تنطوي على كثافة وجدانية وترميز عاطفي عال بوصفها مركزاً أصيلاً ترعاه الذاكرة رعاية خاصة» (عبيد، ٢٠١١م: ١٢٧) تعدّ واحة فزان مكاناً ذاكراتياً تستحضره ذاكرة يعقوب (القنفذ)، إذن هذا المكان مكان ذاكراتي، و«يحمل المكان الذاكراتي، سمة أصلية، لها جذور عميقة في الوجدان الإنساني. وهو يحمل تأريخ الإنسان» (زعيتر، ٢٠١٣م: ٣٠٩) مجرد ذكر المدينة (الممثل السيميولوجي) في الحاضر يشوش دواخل القنفذ؛ لأنّ هذا المكان (بغداد) يخبئ وراءه آلام الحياة.

- (يخرج القنفذ سيجارته و يدخن . تلك عاداته لتأمل بغداد بمنظور ليلي. يتأمل حياته من الغلاف إلى الغلاف. يشقّ بطن هذا الليل ببصيرة ثاقبة و تأملات دراويش خسروا الدنيا و الآخرة معا.) (الزبيدي، ٢٠٢١م: ٤٦)

المفسرة (المؤول)	الموضوع (الركيزة)	الممثل	
عادة سيئة لرفع الحزن و الثقل النفسي	التبغ - التهام الدخان	سيجارته-يدخن	الأيقونة
العزلة و العزلة العزلة و خسارة المجتمع	حيوان الشخص المنعزل عن المجتمع	القنفذ دراويش	الرمز
التعويد على الهموم و الأحزان و التحسر على الماضي	الحالة المستمرة	تلك (عاداته)	الإشارة

كلیة الشئ	الكنایة	من الغلاف إلى الغلاف	
الولوج به و التركيز عليه	الكنایة	يشقّ بطن هذا الليل	

النتائج

- وظف الزيدي العلامة في تصوير مكان روايته، ألا وهي: رواية "دع القنفذ ينقلب على ظهره"، فرسم وجه أمكنتها بروح سيميائية بيرس من خلال العلامة الأيقونية والرمزية والتأشيرية، بينما غلبت العلامة التأشيرية والأيقونية على سيميائية المكان وأنواعه، حيث أن العلامة الرمزية جاءت فقط في ترميز العناوين وتسمية البطل داخل النص الروائي.

- تبين لنا من خلال البحث في سيمياء المكان الأليف بأن هناك علاقة ضدية مع أسباب تسمية هذا المكان، حيث فقدت الأماكن الأليفه كالمدينة الألفة لسكانها و انعدم فيها الأمن والأمان .

- تبين من خلال الدراسة السيميائية لأنواع المكان بأنها جاءت مغلقة في الرواية وتحركت فيها الشخصيات وجرت فيها أحداث الرواية، وكثيرا ما نرى الروائي يجسد لنا مشاهد الرواية من خلال هذه الأماكن ليرمز للانغلاق والضييق والضغطات التي تتحملها الشخصيات في هذه الرواية بسبب الوضع الأمني والمعيشي المتدهور في المدينة والمكان المقصود.

- فقدت أماكن الانتقال دلالتها المعروفة على أنها أمكنة تتحرك فيها شخصيات الرواية، كثير ما نرى تحولت هذه الأماكن إلى أماكن ضيقة و مسدودة وهذا يدل على هدف كتابة الرواية وهو وصف المدينة وما جرى عليها من أحداث تاريخية مؤلمة.

- جاءت أمكنة الإقامة، كبيت يعقوب حسب العلام السيميائية في النص، لتجسد عمودية ارتفاع البيت بأعمدته المثبتة بالمكان نحو الأعلى ملتحمة بالسقف وفي أفق هذه الرؤية

يمكن اعتبار بيت القنفذ مكانا مغلقا محدود المدى من جهة، ومكانا يغلب عليه الانتقال والحركة بالنسبة لشخصية البطل التي رضخت في آخر المطاف وقررت العمل هروبا من تداعيات الواقع. - وردت الأماكن الذاكراتية في الرواية للأنس بالماضي والهروب من الواقع المرير، حيث دلت إشارات الكاتب السيميائية إلى أنّ شخصية البطل في الرواية من الشخصيات المنطوية في عزلتها.

المصادر

- أحمدى، بابك. (١٣٩٣ش). *المبنى و تأويل النص*. ط١٧. طهران: نشر مركز.
- إيكو، أمبرتو. (٢٠٠٠م). *التأويل بين السيميائية والنفيكية*. ترجمه سعيد بنكراد. بيروت: المركز الثقافي العربي.
- بحراوي، حسن. (١٩٩٠م) *بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصيات)*، المركز الثقافي العربي، ط١، الدار البيضاء.
- بو عزة، محمد. (٢٠١٠م) *تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)*، منشورات الاختلاف، الجزائر.
- جندلر، دانييل. (١٣٨٧ش). *مباني السيميائية*. ترجمه: مهدي پارسا. لامك: دراسات الثقافة و الفن الإسلامي.
- شولز، روبرت. (لاتا). *السيميائية والتأويل*. ترجمة: سعيد الغانمي. ط١. بيروت: لانا.
- فليح الزبيدي، خضير. (٢٠٢١) *دع القنفذ ينقلب على ظهره*، دار فلامنكو للنشر والتوزيع، العراق، بغداد.
- قائمي نيا، عليرضا. (١٣٨٩ش). *بيولوجيا النص*. طهران: دراسات الثقافة و الفن الإسلامي.
- قاسم، سيزا. (٢٠٠٤م) *بناء الرواية*. القاهرة: مكتبة الأسرة.
- عبيد، محمد صابر، (٢٠١١م) *التشكيل السردي: المطلق والإجراء*. العراق: دار نينوى.
- عزام، محمد. (٢٠٠٣م). *فضاء النص الروائي*، مقارنة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار، ط١، سوريا.
- زعيتر، حمادة تركي. (٢٠١٣م). *جماليات المكان في الشعر العباسي*. ط١. عمان: دار رضوان للنشر والتوزيع.

- كراد، سعد. (٢٠٠٥م). *السيميائية و التأويل (مدخل لسيميائية بيرس)*. ط ١. المغرب: المركز الثقافي العربي.

- وتار، محمد رياض. (٢٠٠٢م). *توظيف التراث في الرواية العربية*. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

الرسائل و الأطروحات

- توأم، عبد الله. (٢٠١٦م). *دلالات الفضاء الروائي في ظل السيميائية رواية "الآن... هنا أو شرق المتوسط مرة أخرى" لعبد الرحمن منيف أنموذجا*، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، جامعة أحمد بن بلة، وهران.

- رانية، داوود، (٢٠١٤ م). *المكان في القصة القصيرة الجزائرية نفوس ثائرة لعبد الله ركيبي أنموذجا*، مذكرة لنيل شهادة الليسانس، جامعة أكلي محمد الحاج، البويرة.

المجلات

- مدقن، كلثوم. (٢٠٠٥م). «دلالة المكان في رواية موسم الهجرة للطيب صالح»، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، العدد ٤، صص ١٥١-١٤٠